مجلة الجامعة الأسمرية

عدد خاص 2 (2019) (جهود العلماء الليبيين في خدمة المذهب المالكي في القديم والحديث)

جهود الإمام ابن المنمر في خدمة المذهب المالكي

ولد سنة 348 هـ وتوفي سنة 432 هـ

سميرة حمودة

كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، المغرب

Email: h.samoura97@gmail.com

الملخص

للعلماء الليبيين إنجازات عظيمة في شتى الميادين قديما وحديثا، وكان لهم دور كبير في نشر المذهب المالكي وإرساء قواعده وأصوله في المغرب الأقصى ونشر فروعه، خاصة أيام حكم العبيديين؛ الذين مارسوا جميع الطرق والوسائل لتثبيت أسس دولتهم، ونشر الفكر الشيعي وطمس أصول الدين الصحيحة. وفي سلسلة هؤلاء العلماء الأجلاء؛ برز الإمام ابن المنمر الطرابلسي (ت 432 هـ)؛ الذي كان له التأثير الكبير في الحركة الفكرية في زمانه، وخلدت مواقفه أثره بعد مماته؛ فالبحث تطرق إلى سيرة الإمام، ومواقفه ضد جرائم العبيديين، ومحنته مع المنتصر بن خزرون (ت 460 هـ)، كما شمل قيمة كتابه "الكافي في الفرائض" وأهميته، ومنهج المؤلف فيه؛ هذا الكتاب الذي يعتبر من أوائل ما صنف في علم المواريث في المذهب المالكي.

الكلمات المفتاحية: ابن المنمر، الكافي في الفرائض، المذهب المالكي، علماء ليبيا.

ISSN: 2706-9524 (Print) **ISSN**: 2706-9532 (Online)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين:

وبعد،

عرف المغرب الأوسط نبوغ الجم الغفير من الأئمة والعلماء على مر العصور والأزمان في جميع الأمصار والأقطار؛ الذين سعوا إلى خدمة المذهب المالكي وتطويره وتوسيع دائرته، وتصنيف المصنفات النفيسة في أصوله وفروعه؛ هذه المصنفات خلدت سير هؤلاء العلماء؛ الذين تمثلت فيهم الأخلاق والشجاعة العلمية والمروءة والترفع عن الدنيا والدنايا؛ فكانوا "علماء الحق" حقيقة. وقد كان للقطر الليبي قسط وافر من هؤلاء العلماء الأجلاء، الذين رفعوا راية أهل الجماعة والسنة، وخدموا مذهب الإمام مالك بن أنس خدمة جليلة قديمًا وحديثًا.

وفي سلسلة هؤلاء العلماء الفضلاء نجد الإمام العالم العامل أبو الحسن ابن المنمر الطرابلسي (ت 345 هـ)، الذي سأحاول من خلال هذه الورقة تسليط الضوء على جهوده في خدمة المذهب المالكي.

قسمت البحث إلى مطلبين بعد المقدمة؛ تناولت في المطلب الأول سيرة ابن المنمر الذاتية ونشأته العلمية، ثم استعرضت شيوخه وأقرانه وتلامذته وتأليفه المشهور بـ"الكافي في الفرائض". أما في المطلب الثاني فأشرت إلى أحوال عصر الإمام ابن المنمر، وأثر السياسة على الثقافة السائدة وعلى الحياة العامة، وسلطت الضوء على أثر إخلاص الإمام وأخلاقه المتجلية في مواقفه الخالدة انطلاقًا مما قاله العلماء والمفكرون، وتحدثت بتفصيل عن أهمية كتابه "الكافي في الفرائض" وقيمته، ووصفت نسخه بإيجاز، وبينت منهج الإمام ابن المنمر فيه، وأنموذجًا من مسائله، وجاءت الخاتمة جامعة للنتائج وبعض التوصيات.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في إبراز جهود العالم الليبي ابن المنمر(324 هـ) في خدمة المالكي من خلال كتابه الكافي في الفرائض.

أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة التعريف بإمام ليبي جليل من القرن الخامس خدم السنة عمومًا، وبرز في علم الفرائض في المذهب المالكي. كما أنها تتغيا بيان مكانة كتابه في علم الفرائض.

أهمية البحث

تتضح أهمية البحث في إبراز مواقف الإمام ابن المنمر الخالدة، وجهوده في رد الفكر الشيعي والذب عن أصول أهل الجماعة والسنة، وخدمة الفقه المالكي في الفروع من خلال كتابه؛ الذي اعتمد عليه أصحاب الكتب المصنفة في علم الفرائض في الفقه المالكي بعده غالبًا؛ لأنه من أوائل الكتب وأقدمها التي خدمت علم الفرائض مستقلاً مما وصل إلينا.

منهجية البحث

اعتمد البحث منهجا جمعيًا استقرائيًا في جمع الأخبار المتعلقة بسيرة الإمام ابن المنمر وإنجازه العلمي القيم وسياقه التاريخي، وذلك بالرجوع إلى أشهر الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، وفي التاريخ الليبي والمغاربي، وأخبار العبيديين، وتوسل بمنهج تحليلي أحيانا في ربط سياقنا المعاصر بسياق الإمام.

الدراسات السابقة

لم أعثر على بحث مستقل للإمام أبي الحسن ابن المنمر، عدا ما ورد في:

- أبحاث ومقالات الدكتور العلامة حمزة أبو فارس[1] حفظه الله، وتحقيقه لكتاب ابن المنمر "الكافي في الفرائض"، ففي القسم الدراسي أسهب المحقق في التعريف بالإمام ومؤلفه، والحقيقة أنني استفدت من عمل المحقق كثيرًا بعد جهد جهيد في الحصول على نسخة منه.
- وما ذكره الدكتور الجيدي (1993، ص: 15) في كتابه: "مباحث في المذهب المالكي في المغرب ."

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية البحث في بيان حاجة الشعوب الإسلامية عامة والشباب خاصة إلى معرفة جهود العلماء العاملين في سبيل ترسيخ المنهج الصحيح في الدعوة والتبليغ – اقتداء بالنبي ﷺ– المتمثل في المذهب المالكي شريعة في المغرب العربي، وانعكاسات ذلك على الحياة السياسية، والاجتماعية، والفكرية، وترسيخ الهوية الدينية والوطنية.

المطلب الأول: ترجمة الإمام ابن المنمر

اسمه

أبو الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي[2]، وقيل إنه[1]: علي بن محمد بن المنتصر الطرابلسي، وهذا يبين عدم اتفاق المصادر والمراجع في اسمه.

---

[1] انظر أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية حمزة أبو فارس منشورات مالطا، ودور ليبيا في نشر المذهب المالكي حتى القرن الخامس الهجري؛ مؤتمر الإمام مالك 1435 هـ، والقسم الدراسي في تحقيقه لكتاب ابن المنمر "الكافي في الفرائض"، ومقال في مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب والتربية زليتن العدد الثاني، ص: 482–483،– لم أقف عليه– جاء في إحالة 2، ص: 1085 من الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك الدولي 1435 هـ.

[2] ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت 544 هـ)، 7/ 274–273، الصلة لابن شكوال (ت 578 هـ)، ص: 642، رحلة التجاني (ت 721 هـ)، ص: 265–266، تاريخ ابن خلدون (ت 808 هـ)، 572/1، التذكار في من ملك طرابلس لابن غلبون (ت 1153 هـ)، ص: 166–165، شجرة النور الزكية

إلا أن الدكتور حمزة أبو فارس[2] ناقش في خضم حديثه عن محنة الإمام ابن المنمر ووفاته؛ الإشكال المطروح حول الاسم، وقال: "إنه يلزم من يقول إن ابن المنمر غير ابن المنتصر وأنهما عالمان، يلزمه أن يقول: إنهما اشتهرا بعلم الفرائض، وأن التجاني[3] لم يطلع إلا على قبر أحدهما، ولا أظن أن أحدًا يقول ذلك". (ابن المنمر، 2014، ص: 28).

مولده ونشأته

اتفق جميع المؤرخين لأبي الحسن بن المنمر على أنه ولد في طرابلس وإليها نسب، وكانت ولادته سنة 348 هـ[4]، ولم أتوصل إلى مصادر تاريخية أعتمد عليها في استجلاء يوميات صباه أو سنوات نشأته الأولى، كما أن المادة الإخبارية لا تسعف بشيء عن أفراد عائلته أو أسرته أو بيته؛ خلا ما جاء في رحلة التجاني (1981، ص: 264–265)؛ أن بيته في وسط البلد بمقربة من

لمخلوف التونسي (ت 1360 هـ)، رقم (328)، 164/1، الأعلام للزركلي (ت 1396 هـ)، 327/4، أعلام من طرابلس للمصراتي، ص: 272، الجواهر الإكليلية للطاهر أحمد الزاوي، ص: 84، نفحات النسرين ص: 89، الكافي في الفرائض لابن المنمر (432 هـ)، تحقيق حمزة أبو فارس ص: 9.

[1] شجرة النور الزكية لمخلوف (ت 1360 هـ)، رقم (328)، 164/1، الأعلام للزركلي (ت 1396 هـ)، 327/4.

[2] ذكرت بعض المراجع: أن أبا الحسن ابن المنمر وأبا الحسن بن المنتصر إسمان لعالم واحد، –في الأعلام للزركلي وشجرة النور الزكية لمخلوف–، وذكرت أخرى أنهما اسمان لعالمين، وخلص الدكتور حمزة أبو فارس أنهما لعالم واحد، وهو الإمام ابن المنمر، وهو الذي أميل إليه بعد أن تتبعت ما ذكره الدكتور حمزة في مظانه، وما وجدته في ترجمته في الجواهر الإكليلية؛ حيث جمع الاسمين بقوله: علي بن محمد المنتصر بن المنمر. انظر كلام حمزة في القسم الدراسي للكافي في الفرائض، ص: 23، والجواهر الإكليلية، ص: 82.

[3] التجاني: أبو عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني المتوفى سنة 721 هـ، له تآليف منها: رحلة التجاني وتحفة العروس ونزهة النفوس، انظر الأعلام للزركلي 125/4.

[4] كل الكتب المذكورة في الهامش رقم (1) تنسبه إلى طرابلس الغرب المنطقة لا العاصمة حاليًا، وكلمة طرابلس –أطرابلس– تعني المدن الثلاثة على المحافظات الغربية في منطقة طرابلس، وكلمة أنطابلس – بنطابلوس– أي المدن الخمسة على المحافظات الشرقية في برقة، وتاريخ هاتين المنطقتين يمثل إلى حد كبير تاريخ ليبيا بمفهومها الجغرافي المعاصر... انظر تاريخ ليبيا القديم، ص: 18، ومعجم البلدان الليبية لأحمد الزاوي ص 220 والصفحات من 25 إلى 30.

الجامع الأعظم على مسافة يسيرة من دار الفقيه أبي إسحاق الأجدابي[1]، ومزاحم لمسجد يعرف بمسجد ابن فرج الذي سمي باسم الفقيه أبي مسلم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي (ت 442 هـ)[2].

شيوخه

حفظ أبو الحسن ابن المنمر القرآن– وهذا دليل على نشأة طيبة متدينة –، وتعلم الحساب وأسس بعض العلوم عن أساتذته ومعلميه في طرابلس، ثم ارتحل للسماع من أعلام عصره قصد الاطلاع والتحقيق والتحرير على عادة العلماء.

شيوخه في طرابلس:

كانت بداية حياة الإمام ابن المنمر العلمية من طرابلس حيث أخذ عن مشايخها؛ قال القاضي عياض (ت 544 هـ): "... أخذ ببلده عن ابن بكرون[3]، وبه تفقه". (عياض، 1983/1981، ج7، ص: 274)؛ يقصد بلده طرابلس.

وابن بكرون هو أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب[4] الطرابلسي، الفقيه الزاهد المعروف بابن زكرون أو ابن ذكرون. أخذ عن ابن المنذر، وابن جارود، وابن العرب، وأبي الأعرابي، وابن رمضان وغيرهم...، له تآليف في الفقه والفرائض والشروط والرقائق. توفي سنة 370 هـ. (عياض، 1983/1981، ج 6 ص: 275).

---

[1] أبو إسحاق الأجدابي: هو إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي، العالم اللغوي الأديب، والإمام الخطاط، ذكر الزركلي أنه توفي نحو 470هـ، الأعلام للزركلي، 32/1، وفي الجواهر الإكليلية: توفي في نهاية القرن الخامس، ص: 94.

[2] مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي: كان فقيها يقرأ الدروس في مسجده المشهور به، وليس هو الذي بنى هذا المسجد، وإنما اشتهر به لأنه كان يلازم قراءة الدروس فيه فسمي المسجد ابن الفرج، توفي سنة 442 هـ. وفي رحلة التجاني: أن ابن المنمر كان يقدمه لصلاة التراويح ليصلي بالناس. انظر رحلة التجاني، ص 266، والجواهر الإكليلية، ص: 88.

[3] وهو تصحيف والصحيح ابن زكرون.

[4] في بعض المصادر ابن الخطيب وفي ترتيب المدارك ابن الخصيب؛ والصواب ما جاء في الترتيب.

شيوخه في القيروان:

كانت القيروان مركزًا ثقافيًا وإشعاعًا حضاريًا لعهود خلت، وللقرب الجغرافي من طرابلس تعتبر القيروان أول وجهة للبيين وغيرهم لطلب العلم والمعرفة، وهي المحطة الثانية للإمام ابن المنمر. وفيها أخذ الإمام عن شيخين كبيرين من أعلام المالكية؛ هما:

1. أبو محمد بن أبي زيد: جاء في رحلة التجاني (1981، ص: 254): "قال الشيخ أبو عبد الله الخشاب القاضي رحمه الله تعالى: خرجت مع أبي الحسين بن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم منه"، وهو أبو محمد عبد الله بن زيد عبد الرحمن القيرواني النفري النسب، إمام وقدوة المالكية وجامع مذهب مالك، حاز رئاسة الدين والدنيا، وسمع من علماء كثر أجلاء، وله تآليف كثيرة أشهرها: النوادر والزيادات، توفي سنة 386هـ" (عياض، 1983/1981، ج6، ص: 216-217).
2. وذكر القاضي عياض(1983/1981، ج7، ص: 92) أن القابسي من ضمن شيوخ ابن المنمر، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بالقابسي ولد سنة 324هـ، الحافظ المحدث الفقيه الإمام علامة المغرب، قال حاتم الطرابلسي [1] صاحبه: كان أبو الحسن فقيهاً عالماً محدثاً ورعاً متقللاً من الدنيا، سمع عن علماء أجلة ذكر أكثر من عشرين اسما، وانتفع به أهل إفريقية والأندلس. وذكر الذهبي (1998) في التذكرة: "أنه أخذ بأفريقية عن ابن مسرور الدباغ، ودارس بن إسماعيل، وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ، وأبي زيد المروزي، وهذه الطبقة، وكان حافظًا للحديث والعلل بصيرًا بالرجال عارفًا بالأصلين رأسًا في الفقه وكان ضريرًا، وكتبه في نهاية الصحة، كان يضبطها له ثقات أصحابه، والذي ضبط له الصحيح بمكة علي أبي زيد صاحبه أبو محمد

[1] أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي قرأ على القابسي كتابه ملخص لمُسْند موطأ مَالك بن أنس رِوَايَة أبي الْقَاسِم سنة 402 هـ، انظر فهرسة ابن خير، ص: 79.

الأصيلي"، (ج3 ص: 186)، له تواليف عدة منها: ملخص لمسند الموطأ، ورسالة تزكية الشهود وتجريحهم...، توفي بالقيروان سنة 403هـ. (الذهبي، ج3، ص: 187؛ وعياض،1983/1981، ج7، ص: 99).

كما تذكر المصادر أن الإمام ابن المنمر رحل إلى مكة للحج، وفي طريقه سمع من:

شيوخه في مصر منهم:

ذكر القاضي عياض شيخين بمصر، هما:

1. أبو عبد الله بن الوشاء: واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد بن موسى الفقيه المالكي البارع في الرواية والدراية أخذ عن ابن شعبان والطبري، وابن أبي الحديد، سمع منه عمران الفاسي، وأبو محمد الشنجتالي، كان شديد المباينة لبني عبيد توفي بمصر سنة 397 هـ. (عياض، 1983/1981، ج7، ص: 87).
2. أبو القاسم الجوهري[1]: وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي فقيه، كثير الحديث، من شيوخ الفسطاط، وكبار فقهاء المالكية وشيوخ السنّة. سمع من ابن شعبان، ومؤمل بن يحيى، وأبي القاسم العثماني، وابن رشيق، وأحمد بن محمد الإمام، وأبي الطاهر القاضي، وأبي علي المطرّز، وغيرهم. روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو محمد الأجدابي، من القرويين. ومن المصريين ابنه، وأبو الحسن بن فهد، وأبو العباس بن نفيس المقري، وأبو علي الحراني، وأبو بكر بن عقال الصقلي، رحمه الله. ومن الأندلس: خلف الجعفري، وابنه محمد بن الوليد، وابن الحداد. كان خيراً من أجلّة الفقهاء. وألف كتاب مسند الموطأ، وكتاب مسند ما ليس في الموطأ، قال ابن الحذاء رحمه الله: وتوفي فيما أحسب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة". (عياض، 1983/1981، ج6، ص:

[1] قام الدكتور حمزة أبو فارس بتحقيق اسمه ومجال تخصصه- في القسم الدراسي لكتاب الكافي لابن المنمر، ص 12؛ مصححا ما ذكر الأستاذ المصراتي في كتابه أعلام من طرابلس ص: 30، أنه صاحب الصحاح، وقال حمزة أبو فارس: وليس هو صاحب الصحاح.

204)، وذكر محقق كتاب "الكافي" حمزة أبو فارس(ابن المنمر، 2014): "فقيه محدث من شيوخ قسطاط توفي سنة 385 هـ أو سنة 381 هـ، (ص: 12).

شيوخه في مكة:

سافر أبو الحسن ابن المنمر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، سنة 389 هـ(التجاني، 1981، ص265)، وذكر القاضي عياض(1983/1981) أنه سمع من شيوخ منهم:

أبو الحسن ابن رزين[1]: وهو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق البغدادي[2]، كان من الثقات الأثبات، روى عن المحاملي ومحمد بن مخلد، توفي سنة 391 هـ. (الزركلي، 2002، ج2، ص: 156).

والدكتور حمزة أبو فارس ناقش مسألة حج الإمام ابن المنمر أثناء حديثه عن رفقة الإمام في رحلة الحج، قائلا: "فإما أن يكون حج مرتين ...، وإما أن يكونوا قد رجعوا في المرة الأولى ولم يواصلوا سيرهم..." (ابن المنمر، 2014، ص: 16).

تلاميذه:

عند قفول الإمام ابن المنمر من الحج، جلس لنشر العلم وتعليم الناس أمر دينهم ودنياهم، وطار صيته شرقًا وغربًا، قال النائب (1963): "ثم عاد إلى طرابلس، فلم يزل بها إلى سنة ثلاثين وأربعمائة (430 هـ)". (ص88).

ويذكر القاضي عياض (1983/1981) في ترتيبه؛ تلميذه:

[1] وهو تصحيف حقق في مصادر أخرى، انظر كلام حمزة أبو فارس في الصفحة 13 من الكافي في الفرائض لابن المنمر.

[2] نافش الدكتور حمزة أبو فارس في صفحتين قول الأستاذ علي مصطفى المصراتي في كتابه أعلام من طرابلس، ص 29-30: أن ابن المنمر أخذ عن الشاعر الأديب ابن الزريق البغدادي، وخلص أن هذا مجرد تصحيف كلمة رزيق إلى زريق.

1. ابن محرز: وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن محرز القيرواني، له تعليق على المدونة، وكتاب القصد والإيجاز، توفي حوالي سنة 450 هـ. (ج8، ص: 68).
2. وذكر ابن بشكوال (1955) في كتابه الصلة:

أبا يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد المجريطي، وقال: "... ولقي بطرابلس أبا الحسن بن المنمر وصحبه مدة وقرأ عليه كتابه الفرائض... وهو ثقة خير فاضل، توفي بمجريط سنة 473 هـ". (ص: 279-280).

أصحابه/أقرانه:

لم أجد من ذكر أصحابه غير رحلة التجاني (1981) قال: "قال الشيخ أبو عبد الله الخشاب القاضي رحمه الله تعالى: خرجت مع أبي الحسن بن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم منه" (ص: 250).

وذكر التجاني (1981، ص: 249-250) أيضا أبا عثمان سعيد بن خلفون الحساني دون سنة وفاته التي قرر النائب (1963، ص: 81) والأستاذ الطاهر الزاوي نقلا عن المصراتي (1986، ص: 157) أنها سنة 362 هـ؛ وهذا يطرح إشكالا كما أكد الدكتور حمزة أبو فارس في تحقيقه للكافي في الفرائض؛ الذي تساءل قائلا: "ولا أعرف من أين وقع للنائب هذا التاريخ – يقصد تأريخ وفاة أبي عثمان- وهو قد نقل ترجمة الحساني عن التجاني؟، وهذا الأخير لم يؤرخ لوفاته -فيما أعلم- وإذا سلمنا بهذا التاريخ فكيف نتصور ابن المنمر وهو يسافر إلى الحج وعمره فوق العاشرة بقليل؟؟.". (ابن المنمر، 2014، ص: 15-16).

وفاته:

اتفقت المصادر على تاريخ وفاته في غنيمة سنة 432 هـ[1] قال الزاوي (1999) صاحب الجواهر: "توفي الإمام ابن المنمر في قرية "غنيمة" من قرى "مسلاته" سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، وله من العمر اثنان وثمانون عاما" (ص: 87)، بعد محنة نفيه وتغريبه عن أهله؛ التي سأتطرق إلى تفاصيلها في المطلب الثاني.

تآليفه:

تذكر المصادر المترجمة للمؤلف أن له تآليف في الحساب والأزمنة والفرائض، لكنهم لم يسموا سوى كتابه في علم المواريث "الكافي في الفرائض"، واشتهر بـ"الكافي". يقول ابن خلدون (1988)- وقد ذكر اسم ابن المنمر في موضعين- في تاريخه: في معرض حديثه عن علم الفرائض: "وللناس فيه تآليف كثيرة أشهر ما عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ومن متأخري إفريقية ابن المنمر الطرابلسي وأمثالهم...".(ج1، ص: 572).

وسيتم التفصيل في الكلام عن كتاب "الكافي في الفرائض" في جهود الإمام في خدمة المذهب المالكي.

المطلب الثاني: جهود الإمام ابن المنمر في خدمة المذهب المالكي والسنة النبوية

وكما تروي كتب التاريخ والرحلات[2]؛ أن أهل الجماعة والسنة ابتلوا في مطلع القرن الرابع الهجري في شمال إفريقية بخلافة الشيعة الرافضة؛ التي اعتمدت جميع الطرق والوسائل لتثبيت ركائزها ونشر فكرها، محاولة طمس معالم الدين الصحيح وفرض بدعها وضلالها. وعاشت الشعوب مدة خلافتها أهوالًا

[1] ترتيب المدارك للقاضي عياض، والمراجع المذكورة في الهامش رقم (1).

[2] منها: تاريخ ابن خلدون، تاريخ ليبيا، رحلة التجاني.

عظيمة. إلا أنها لاقت رفضًا قاطعًا وواجهت موقفًا صارمًا من طرف العوام، وعلماء الغرب الإسلامي وخصوصًا المالكية.

مواقف الإمام ابن المنمر الخالدة ضد الفكر الشيعي

إن ذاكرة التاريخ لا تنسى؛ وتاريخ الدولة العبيدية الفاطمية مرسوم في كتب العقيدة والفقه والتاريخ؛ يقول ابن حماد في أخباره (د.ت.): "فعلى امتداد ستة عقود (298-361 هـ) حكموها في المغرب، ولأكثر من قرنين حكموها في مصر؛ فقد نشروا من الخرافات والبدع ما لا أصل له لا في كتاب ولا سنة، ولجأوا إلى ضروب من الحيل والدجل ..." (ص: 23-24).

وارتكب الشيعة الروافض في شمال أفريقيا خلال أكثر من نصف قرن؛ من الآثام ما تشيب منه الولدان ولا تقبله العقول، وجرائمهم مأثورة في كتب التاريخ، عانى منها الكبير والصغير، والعوام والخواص. فقد انزلوا جام غضبهم وسخطهم؛ خصوصًا بالعلماء الذين صمدوا وتحملوا الأذى والسجن، والنفي والقتل غدرًا؛ وهذا من ابتلاءات المؤمنين حتى يعلم الله الذين صدقوا، وليبين الله نقي المعادن من رديئها، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2]. ومن هذه البدع والضلالات؛ نذكر الآتي:

1. إزالة آثار بعض الخلفاء السنيين الذين سبقوهم، فقد أصدر عبيد الله أمرًا بمحو أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد، وجعل اسمه بديلًا منهم، واستولى على أموال الأحباس وسلاح الحصون، وطرد العباد والمرابطين بقصر زياد الأغلبي وجعله مخزنًا للسلاح. (أبو بكر، 1994، ج2، ص: 56)؛
2. حرص العبيديون على منع التجمعات ليلًا، وجعلوا بوقًا يضربونه في أول الليل فمن وجد بعد ذلك ضرب عنقه. (أبو بكر، 1994، ج2، ص: 29)؛
3. كانوا يفرقون الناس عن تشييع جنازة العلماء. (أبو بكر، 1994، ج2، ص: 29؛ شواط [د.ت.]، ج1، ص: 72)؛

4. أتلفوا جل مصنفات أهل السنة، ومنعوا الناس من تداولها؛ وحرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة وجناية يعاقب عليها بالضرب والسجن والقتل أحيانًا. (أبو بكر، 1994، ج2، ص: 433)؛
5. منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد ونشر العلم، والاجتماع بطلاب العلم. (شواط، [د.ت.]، ج1، ص: 76)؛
6. قتلوا الآلاف من العلماء والصالحين لتمسكهم بإسلامهم ودفاعهم المستميت عن السنة، قال القابسي في كتاب (شواط، [د.ت.]): " إن ألفين ماتوا في دار البحر "سجن العبيديين" بالمهدية، ومن حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة الآلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح". (ج1، ص: 74).

وما ينطبق على القيروان بالطبع كان ينطبق على جميع خلافة العبيديين، خاصة الحواضر الثقافية والعلمية. وهذه المحن والمآسي لم تزد العلماء والعامة؛ إلا عزمًا وإرادة وصبرًا واحتسابًا وتشبثًا بأصول أهل السنة والجماعة. (شواط، [د.ت.]، ج1، ص: 75).

ووقف العلماء والفقهاء المالكية في وجه العبيديين؛ فكان سلاحهم الأول مقاطعة الجموع التي يلعن فيها أصحاب رسول الله ﷺ ، ورفضوا بيعة أمرائهم، وصمدوا عاملين بالسنة على مذهب الإمام مالك، بكل حزم وهمة، فضربوا وسجنوا ونكل بهم، إلا أنهم صبروا واحتسبوا؛ لعلمهم بأنهم هم قدوة العامة، ولو رضخوا لشاع الفكر الشيعي واندرست السنة النبوية والفقه المالكي.

وفي سلسلة هؤلاء العلماء الربانيين، برز الإمام ابن المنمر الذي لم يكن وحيد عصره، وإنما كان فريدا ومميزا بقوة إرادته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خادمًا مخلصًا لسنة رسول الله ﷺ حافظًا لها، وفقيهًا مالكيًا جهبذا؛ لم يقتصر على التنظير والتأليف في الفقه المالكي؛ وإنما حفظه بالعمل به وتعليمه للناس والجهر بالحق، ووقف موقفا صارما في وجه الطغاة وولاة الفكر الشيعي. فبعد رجوعه من الحجاز وتمكنه من العلوم؛ نشر السنة وناصر المتمسكين بها،

وكان من ألد أعداء العبيديين وأشد معارضيهم جهرًا وسرًا. وكشف عن ضلال وزيغ الفكر الشيعي؛ بقوة إيمانه وعلو همته، وصفاء سريرته ومقومات شخصيته العلمية. نقل التجاني (1981) عن صاحب الرحلة الناصرية: "وفي سنة 407 هـ، وبعد وقعة السارقة المشهورة في أفريقية التي قتل فيها الشيعيون، كان الأستاذ أبو الحسن أول من ثار في طرابلس على بدع الشيعيين وخرافاتهم، وقتل منهم في طرابلس أناس كثيرون بسبب ثورته عليهم" (ص: 266).

وقال النائب (1963) صاحب النفحات: "وهو أول من أظهر السنة بطرابلس، لما كانت في إفريقية الوقعة المعروفة "المشارقة" سنة سبع وأربعمائة -407هـ- قتل فيها الشيعة وأتباعهم،

- وعلى يد أبي الحسن هذا قتل من كان بطرابلس منهم؛
- وأمر بقطع الأذان "حي على خير العمل"؛
- وأذن في ذلك اليوم أذان أهل السنة بنفسه، وقد قتل بنو عبيد بشرًا كثيرًا، وأسقطوا هذه اللفظة من أذانهم تعمدًا أو نسيانًا؛
- وأول من أقام بطرابلس صلاة القيام، وقد كان رسم هذه الصلاة محي من أفريقية، قال أبو الحسن القابسي: "لما دخل عبيد القيروان أرادوا أن يمنعوا الناس من هذه الصلاة، فقيل لهم: إنكم توغرون بهذا الفعل، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه خيرًا على انتصاره لسنة رسول الله ﷺ". (ص: 89).

وجاء في قول صاحب "التذكار"[1] في سرده لأحداث منافحة العلماء عن أصول الكتاب والسنة في هذا العصر – أي زمن القره مانلي بالتحديد-: "فمن القدماء الفقيه العارف بالله أبو الحسن المنمر... دعا إلى الله سبحانه وتعالى، وقرر الشريعة أصولًا وفروعًا، وأظهر السنة ... وهو أول من قطع الأذان "بحي على العمل"، وأول من أقام صلاة القيام بطرابلس لما محي أثرها من أرض أفريقية... وكان قد جمع الفقه والأدب مع الله..." (ابن غلبون، 2004، ص:

[1] والتذكار هو شرح لأبي عبد الله محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي (1153 هـ)على قصيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي عني به الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي.

165)، وإنه لكرامة له أن يحيي سنة بعد أن محيت آثرها... فجزاه الله عنا خير الجزاء.

تأثير مواقف الإمام بن المنمر في السياسة

الأصل في السياسة أنها نشاط إنساني يحكمه الدين أساسًا في المجتمعات الإسلامية، وهي الموجهة والمؤطرة للرؤى والغايات العامة؛ والساعية لتحقيق مصالح العباد دينًا ودنيا.

وعُرفت الحالة السياسية والثقافية في عهد الإمام ابن المنمر بعدم الاستقرار والاضطراب بين سكان طرابلس وإخوة بني خزرون المتناحرين على الحكم؛ فقام علماؤها وهم الموجهون والمربون بتأطير العامة وتحريضهم على محاربة الحكام الطغاة المتسلطين، وسعوا جاهدين لإصلاح الأوضاع وتغيير المنكر، ولأنهم دعاة عدل وحق وإصلاح؛ امتحنوا وعاشوا أنواعًا من التعذيب والمحن والفتن.

وعلى إثر من سبقوه سار الإمام ابن المنمر، وتجلت محنته الحقيقية مع المنتصر بن خزرون[1] سنة 430 هـ، فقد حملته غيرته على الدين ومصلحة العباد أن يفتح المدينة بنفسه لمن يراه أهلًا لمصالح الناس دينًا ودنيا؛ حيث جاء في رحلة التجاني (1981) عن محنة الإمام: "وكان سبب محنة الفقيه أبي الحسن أن سعيد بن خزرون لما قتلته زغبة سنة تسع وعشرين وأربعمائة –429 هـ–، فتح أبو الحسن ابن المنمر مدينة طرابلس لخزرون بن خليفة؛ فدخلها وأقام بها شهرًا، ثم لما تم الشهر الأول من سنة ثلاثين وصل المنتصر بن خزرون، وكانت معه عساكر زناته، ففر خزرون بن خليفة من طرابلس مختفيًا، وترك له البلد؛ فدخله المنتصر، وأوقع بأبي الحسن مكروهًا عظيمًا ونفاه

[1] وقيل المستنصر؛ حكم بعد أخيه سعيد بن خزرون قال ابن خلدون في تاريخه: "لما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك وأجلوهم عنها، لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما في نواحيها. ثم ولي سعيد أمر طرابلس ولم يزل واليا عليها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة". "واستولى المنتصر بن خزرون على حكم خزرون بن خليفة عام 430 هـ واغتيل سنة 460 هـ". انظر تاريخ ابن خلدون، 231/6، 58/7

من البلد واستباح جميع أملاكه، وعذب كثيرًا من أقاربه بسببه" (ص: 267)، وتذكر المصادر أنه لم يقتله رغم رغبته في ذلك مخافة ثورة الناس لحبهم الشديد لأبي الحسن. وكان حب الناس للإمام ابن المنمر ثمرة حبه لسنة الرسول ﷺ وسنة صحابته الكرام وإمام مذهبه مالك؛ فقد صبر واحتسب في محنته أسوة بحبيبنا ﷺ وحبا في خدمة سنته وطاعة لربه؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

ومحنة ابن المنمر والعلماء العاملين عمومًا، مازالت أصداؤها تتردد لوقتنا الحاضر بوجوه مختلفة وصور جديدة متنوعة تأخذ أسماء ومصطلحات عديدة، وأساليب قديمة ومبتكرة. ولب المحنة وسببها؛ الدفاع والذب عن سنة رسول الله ﷺ ؛ فما أشبه حاضرنا بماضينا، ويومنا بالبارحة؛ فشيعة اليوم هم شيعة الأمس وخوارج الأمس هم خوارج اليوم، والمعيقات كثيرة من الخارج والداخل تتلون بين متربصين وطاعنين وداعين إلى توحيد العالم أو ما يصطلح عليه بـ"العولمة"، والأمة لم تسلم كذلك من أبنائها والمنتمين إليها؛ فتصدر الجهال واللاهثين وراء مطامع الدنيا وشهواتها والجاهلين والمغفلين؛ أعان أصحاب الأفكار الضلالية المنحرفة على نشر ضلالاتهم وبدعهم وأفكارهم الهدامة.

ولكل هذه الأسباب فالأمة في أمسّ الحاجة لعلماء من طينة الإمام ابن المنمر وأمثاله؛ يفشون الفكر الصحيح والأقوال المرضية ويحقون الحق ويبطلون الباطل، ويعلمون الناس الثوابت القائمة على الكتاب والسنة الصحيحة؛ فالمعلوم أن حاجة الناس إلى العلماء المربين حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ فهم أولياء أمور الدين الذي عليه تبنى أمور الدنيا والآخرة، وهم صناع المسلم الصالح في نفسه المصلح لمن حوله القادر على تحمل الأمانة وتبليغ الرسالة سيرًا على المنهج النبوي القويم عقيدة وشريعة وسلوكًا.

كما أن تحديد المفاهيم وضبط حمولة المصطلحات يعتبر ضرورة تاريخية وجب مراعاتها وفقه أولويتها من طرف العلماء والباحثين والمثقفين، فالحرب الآن حرب فكر، وتجديد الخطاب الشرعي مطلوب بشدة؛ لأن قبح هذا الخطاب لقرون

خلت، وسوء تصرف الحكم الإسلامي المعاصر أعطى منافذ وفرصًا للعدو للنيل من المسلمين، وتشويه تراثنا وفكرنا الإسلامي؛ وفرق ومزق نسيج أهل الجماعة والسنة ما بين علماني ومتطرف، وملحد ولاديني، وغيرها من الأسماء.

كتاب الكافي في الفرائض

نسبة الكتاب واسمه:

نسبة الكتاب إلى صاحبه ثابتة في النسخة الموجودة في مكتبة تشستربتي بأيرلندا، حيث قال المؤلف في معرض انتهائه من الكتاب الثاني:

"الكتاب الثاني[1] من كتاب الكافي في الفرائض والحساب على مذهب مالك بن أنس، رحمه الله". وقد تضمنت هذه الجملة نسبة الكتاب واسمه وموضوعه بإيجاز.

موضوع الكتاب:

عنوان الكتاب يفصح عن مضمونه "الكافي في الفرائض"؛ فهو كتاب في علم الفرائض أو المواريث بأقسامه الثلاثة: الفقه والحساب والعمل؛ كما سطر ابن المنمر في أول الكتاب.

والكتاب عمدة في علم المواريث؛ هذا العلم الذي لا يتقنه إلا حذاق العلماء وآحادهم، ويشتمل على أقسام العلم الثلاثة: الفقه، الحساب، والعمل. وقد بين فيه أصول علم الفرائض عند المالكية خصوصًا، مستحضرًا نصوص الموطأ في باب الفرائض شارحًا إياها، ومناقشًا أدق مسائل علم المواريث وملخصًا لها في خرائط موضحة ميسرة للفهم، ومستعينًا بطريقة الجداول في تقسيم الأنصبة لبيان أصعب الحالات والأوجه.

منهج المؤلف في كتابه:

لم يفصح الإمام ابن المنمر عن السبب الذي حمله على تأليف كتابه الكافي في الفرائض؛ ولكن يمكن القول: إنه أراد ضبط أصول المالكية في علم

[1] يقصد المؤلف بالكتاب: الجزء الأول.

الفرائض وفروعه: الفقه والحساب والعمل، وشرحها متحريًا الإيجاز والاقتصار في التفسير؛ ربما ليقرب حفظه. ولم يتول توضيح المنهج المتبع في تأليفه. وبعد قراءته وتتبع خطوات المؤلف في تصنيفه للكتاب؛ استخلصت ما يأتي:

استهل المؤلف كتابه على نهج من سبقه من مؤلفي المالكية في "ما جاء في النبي ﷺ والصلاة عليه"، ثم ما جاء في فضل المدينة وعالمها"؛ مستقرئا كلام الأئمة في الثناء على الإمام مالك مختتما بطرف[1] حديث أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة"[2] (الترمذي، 1998)، ثم عقبه بما "جاء في المشرق وإنكار الصحابة مذاهب أهل العراق"؛ وهذا تصريح ضمني لحبه للمذهب وترجيحه على غيره. ثم عرف بأصحاب الفرائض وأصول أنصبتهم، ثم عرج على بيان مفاهيم وتعاريف لمصطلحات علم الفرائض.

وسلك المؤلف في كتابه منهجًا دقيقًا ومضبوطًا، قسمه إلى كتابين، في كل كتاب أبواب حسب الضرورة بدون تناسب ملحوظ، وفي كل باب جاء كلامه جامعًا مانعًا لأصول المسألة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وآراء الإمام مالك وتلاميذه، ويأتي بالأمثال التطبيقية ليسهل استيعابها وييسر فهمها .

مصادر المؤلف:

وأما المصادر التي استقى منها الإمام أبو الحسن مادته ورجع إليها، فتجده اعتمد على الكتاب العزيز، وأحاديث الموطأ، وعمل أهل المدينة، وأقوال الإمام مالك، واختياراته، واستنباطاته، وأقوال تلاميذه الثابتة في أمهات مصادر الفقه المالكي[3]. وقد صرح بهذا حسب ما جاء في نهاية الجزء الثاني من كتابه

[1] الحديث: " يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة".

[2] أخرجه الترمذي في سننه رقم الحديث (2680)، 344/4، قال: حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك، 90/1-91، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (3736)، 52/9.

[3] وأهمها: المدونة للإمام مالك (ت 179 هـ): رواية ابن سحنون (ت 256هـ) عن ابن القاسم (ت 191 هـ) عن الإمام مالك رحمهم الله جميعا ورضي عنهم، والعتبية: لمحمد العتبي (ت 255 هـ)، وتسمى أيضًا المستخرجة، والموازية لابن مواز(ت 269 هـ).

حسبما ذكر الدكتور حمزة أبو فارس (ابن المنمر، 2014): "تم الكتاب الثاني في الفرائض والحساب على مذهب مالك بن أنس رحمه الله؛ مجموعًا من الموطأ والمدونة والعتيبية وغيرها من كتب أصحاب مالك، مما عني بجمعه وتأليفه أبو الحسن علي بن محمد الطرابلسي، فيه أصول الفرائض والعمل في العول، ووجوه الاختصار في الحساب، والعمل في المناسخة، بحمد الله وعونه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه". (ص: 225).

والإمام ابن المنمر لا يخلط ولا يمزج الأقوال وإنما يفرزها تبعًا لطبقات العلماء، وإذا سمع الحديث قال حدثنا (ابن المنمر، 2014، ص: 66)، مستحضرًا سنده متحملًا قاصدًا الرواية، وإذا لم يسمعه جاء بالحديث برواية مالك كما هي في الموطأ أو المدونة، ويورد أقوال تلاميذ مالك في المسألة، وإذا فسر أو عقب أو علق؛ يقول: قال أبو الحسن مقرًا في الغالب قول الإمام مالك. وفي حديثه عن كل مسألة وباب؛ يأتي بالأصل من القرآن والسنة النبوية الشريفة ثم أقوال الأئمة مبتدئًا بقول الإمام مالك غالبًا كما جاء في الموطأ ثم أقوال تلاميذه: ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وابن الماجشون، وأقوال الثقات من بعدهم مثل: أصبغ وابن دينار وابن المواز، وسحنون... وغيرهم، وإذا كان في المسألة أكثر من وجه يستحضر أغلب الوجوه.

وقد سعى الإمام ابن المنمر جاهدًا إلى بيان مسائل علم الفرائض وأصولها، ومصطلحات العلم كما تعارف عليها أصحاب التخصص بأسلوب علمي رفيع، ممزوج بأسلوب أدبي سهل الفهم؛ يجعل المستفيد على بينة.

أهمية الكتاب:

وأهمية الكتاب وقيمته متجلية في عناية العلماء به؛ فقد طبقت شهرته الآفاق قراءة وتدريسًا ونقلًا، أخبر القاضي عياض عنه قائلًا:" له في الفرائض كتاب مفيد مشهور، سماه: "الكافي" (عياض،1081-1983، ج7، ص: 274)، ويكفي تنويه جهينة[1] المذهب المالكي بشهرة الكتاب. ويقول ابن

[1] من المثل القائل: "وعند جهينة الخبر اليقين".

خلدون (1988) في الفصل العشرين في العلوم العددية، –ومن فروعه أيضا أي الفرائض–: "... وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديمًا وحديثًا وأوعبوا ومن أحسن التآليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنمر والجعدي والصردي وغيرهم...". (ج1، ص: 638).

ولم أجد في حدود اطلاعي كتابًا ألف عند المالكية في علم الفرائض أقدم منه؛ سوى ما ذكر في شجرة النور الزكية:

- كتاب في الفرائض لأبي علي بن شقران بن علي بن شقرون (ت 186 هـ)[1]؛
- وكتاب الفرائض لأبي إسماعيل بن إسحاق (ت 282 أو283 هـ) (مخلوف، 2003، ج1، ص: 90، 91، 97، 98)، وهما حسب بحثي مفقودان.

نسخ الكتاب[2]:

يذكر محقق الكتاب الدكتور حمزة أبو فارس (ابن المنمر، 2014، ص: 13)؛ أنه كان يظن أن الكتاب مفقود؛ كما نظن بغالب مصادرنا الأصيلة، ولكنه حصل في الأخير على خمسة من نسخه:

- الأولى: نسخة مكتبة تشستربيتي بإيرلندا؛ نسخت عام 901 هـ.
- الثانية: نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقمها (10906) وعدد أوراقها 79، نسخت سنة 775 هـ، وهذا مؤشر قوي على مدى اهتمام الناس بالكتاب إلى القرن الثامن؛ خصوصًا المغاربة.
- الثالثة: نسخة الخزانة الوطنية بالرباط، رقمها (1144)، نسخت سنة 824 هـ.
- الرابعة: نسخة مكتبة عثمان العالم بسبها، نسخت سنة 1268 هـ.

[1] قال مخلوف: كان ثقة مأموناً مجاب الدعوة عالماً بالفرائض له كتاب فيه. رقم (76).

[2] منقول من القسم الدراسي لكتاب الكافي في الفرائض لابن لمنمر بتصرف، ص: 13–32.

– الخامسة: نسخة في مكتبة زاوية تيد سي بنواحي سوس[1].

والكتاب حققه وأخرجه إلى الوجود أول مرة الدكتور العلامة حمزة أبو فارس معتمدًا على النسخ الخمسة، تحقيقًا علميًا رصينًا، وطبعته دار الميمان للنشر والتوزيع، طبعته الأولى سنة 1435 هـ الموافق 2014م.

نموذج مختصر من الكافي يبرز منهج المؤلف:

"**باب ميراث المرأة من زوجها**"

قال مالك: وميراث المرأة من زوجها إذا لم يترك ولدًا ولا ولد ابن؛ الربع، يريد: لو أن رجلًا توفي وترك زوجة وأخًا، فللزوجة الربع، وما بقي فللأخ.

قال مالك: فإن ترك ولدًا أو ولد ابن، ذكرًا كان أو أنثى – يريد منها أو من غيرها– فلامرأته الثمن، من بعد وصية يوصي بها أو دين.

يريد: لو أن رجلا توفي وترك زوجة وابنا أو ابن ابن، فللزوجة الثمن، وما بقي للابن أو ابن الابن، وإن ترك زوجة وبنتا أو بنت ابن، فللزوجة الثمن، وللبنت أو بنت الابن النصف، وما بقي للعصبة." (ابن المنمر، 2014، ص: 113).

وهذا المثال لبيان حرص أبي الحسن بن المنمر على شرح قول مالك، كما يبين إيجازه؛ فلم يؤصل المسألة من القرآن؛ لأنه فعل ذلك في "باب ذكر الفرائض في كتاب الله "ﷻ. ويقصد الإمام ابن المنمر بلفظة (يريد) شرح كلام الإمام مالك.

وفي خضم الحديث عن الكتاب وبعد جولات وقراءات متتالية فيه، أثار انتباهي أمر كان يشغل تفكيري في اجتهاد الأئمة في المواريث؛ رغم أن الله تعالى تكفل بتشريع جلها في كتابه، ولم يولها غيره لمعرفته ﷻ بجسامة التفريط في هذه الحقوق، ودرايته – تعالى– المطلقة بمصالح العباد؛ أنني لم أعثر على

[1] زاوية في سوس بمنطقة ناحية مدينة آكادير بالمغرب – نحو أربعين كيلومترا–؛ المدينة معروفة على ساحل المحيط الأطلسي.

أصل مسألة المالكية في أحوال الجد المنسوبة للإمام مالك بل المسماة باسمه، رغم أنه من أقدم الكتب المعتمدة في هذا العلم؟؟.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشيقة في تاريخ ليبيا وعلمائها وسيرة الإمام ابن المنمر العطرة وعلم الفرائض في المذهب المالكي، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

1. أن تاريخ ليبيا حافل بالإنجازات المهمة في الدفاع عن أصول الدين على مذهب أهل الجماعة والسنة، ويشهد التاريخ بعدم تخلفهم في أداء دورهم.
2. أن إسهامات علماء ليبيا في مجال التأليف في المذهب المالكي واضحة بينة من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة قديمًا وحديثًا[1] .
3. أن الإمام ابن المنمر أسهم ضمن سلسلة هؤلاء العلماء الليبيين الربانيين في خدمة الفقه المالكي؛ وقد تميز بعزيمته وإخلاصه، ومواقفه الجريئة والنبيلة الخالدة، مهيمنًا في واقعه مدافعًا عن أصول الدين، ومضحيًا بكل غال ونفيس. مبرزًا ومقيمًا بذلك لمفهوم حرية البحث العلمي المعاصر.
4. أن شخصية الإمام ابن المنمر جمعت بين الفقه والسياسة، ومكانته العلمية في تاريخ ليبيا واضحة جلية.
5. أن كتاب الكافي في علم الفرائض للإمام ابن المنمر له قيمة كبيرة، وتتجلى أكثر في كونه من الكتب الأولى التي صنفت في هذا الفن.

التوصيات

في ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج ترى الباحثة:

[1] ومنها على سبيل المثال لا الحصر: رواية علي بن زياد للموطأ (حقق جزء منه الشيخ الشاذلي النيفر)، وتحفة علم المواريث: مؤلف الكافي في الفرائض لابن المنمر، ومؤلفات الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الزليطني الشهير بحلولو (ت 898 هـ)، وكتاب اللآلئ والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر للشيخ عبد الرحمن البوصيري (ت 1354 هـ) ... واللائحة طويلة.

- أنه من واجبنا طلبة العلم والباحثين العناية بسيرة أئمتنا العطرة وإخراجها من الظلمات إلى النور، والحرص على الاقتداء بمثل هذا الإمام العالم العامل، وبذل الجهد قدر الاستطاعة في ذلك.

ولكي يعمل المسلم بما علم وجب أن يتلقى عقيدة صحيحة؛ إلا أننا –أهل السنة والجماعة– معظمنا يفتقر إلى هوية عقائدية واضحة، ومرجعية ثابتة؛ فالتفسير العقدي الصحيح شبه غائب في تاريخنا، وللأسف الشديد لا نكاد نفرق بين صحيح العقيدة وفاسدها. وقد طمست الحقائق بين مستشرق غايته لا تعرف، وشيعي ناشر لمذهبه، ومصلحي نفعي، أو متأول خارجي...؛ فضاعت هوية أهل السنة والجماعة وسط تيارات تجتذبها من كل طرف، والأعداء والمتلاعبون بالدين الاسلامي يركزون على مسخ معالم العقيدة المحمدية الصافية النقية. والساحة في أمس الحاجة إلى علماء مخلصين مثل الإمام ابن المنمر الذي قدر على كسب حب واحترام العامة والخاصة بأفعاله ومواقفه قبل أقواله صادقًا محسنًا، والله تعالى ما ضيع محسنًا يومًا، قال تعالى– في سياق حديثه عن الصابرين المخلصين الذين يدعون إلى الله بالغداة والعشي–: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30].

- كما أنه من واجب العلماء فتح مجال للحوار مع الشباب والرد بصدق وجرأة على الشبهات والقوادح في الدين الإسلامي؛ كي لا نترك للنفوس المشككة في تاريخنا منافذ للطعن في ديننا أو إرباك هوية أجيالنا القادمة؛ فالحرب لم تعد حرب سلاح أو إرهاب كما يحاول أن يوهمنا الأعداء والأغبياء، وإنما هي حرب مصطلحات وفكر...، وحاجتنا كبيرة إلى زرع المفاهيم والقيم الأخلاقية المنبثقة من الشعور الديني الوطني الصحيح، لنتمكن من المشاركة بندِّية في التدافع الذي سن الله تعالى في هذا الكون.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، إنه بالإجابة لقدير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن المنمر، علي بن محمد الطرابلسي (2014). الكافي في الفرائض، تحقيق: أبو فارس، حمزة، دار الميمان، طرابلس، ليبيا.

ابن حماد، محمد بن علي (د.ت). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تحقيق: نقرة، التهامي؛ وعويس، عبد الحليم، دار الصحوة، القاهرة، مصر. [طبعة الكترونية مقروءة]. تم الاسترجاع من موقع [http://www.amazon.org].

ابن خلدون، عبد الرحمن (1988) تاريخ ابن خلدون، تحقيق: شحادة، خليل، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن خير، محمد الإشبيلي (1998) فهرسة ابن خير، تحقيق: منصور، محمد فؤاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن شكوال، القاسم (1955). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: العطار، عزت، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ابن غلبون، محمد بن خليل الطرابلسي (2004). التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق: الزاوي، أحمد، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.

أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (د.ت). طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

أبو بكر، عبد الله بن محمد (1994). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: البكوش، بشير؛ والعروسي، المطوي حمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

البرغوثي، عبد اللطيف (د.ت). التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي (ج 1). أعده للنشر تامغناست [طبعة إلكترونية مقروءة]. تم الاسترجاع من موقع [http:www.noor-book].

التجاني، محمد بن أحمد (1981). رحلة التجاني، تحقيق: حسني، عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا وتونس. [طبعة إلكترونية مقروءة]. تم الاسترجاع من موقع [http//download-pdf-ebooks.org].

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (1998) سنن الترمذي، تحقيق: عواد، بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

الذهبي، شمس الدين (1998). تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الزاوي، الطاهر أحمد (1968). معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، لبنان.

الزاوي، الطاهر أحمد (1999). الجواهر الإكليلية في أعيان ليبيا من المالكية، دار البيارق، عمّان، الأردن.

الزركلي، خير الدين (2002). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الصلابي، محمد علي (2006). الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر.

المصراتي، علي مصطفى (1986). أعلام من طرابلس، الدر الجماهيرية، طرابلس، ليبيا.

النائب، أحمد (1963). نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، المكتب التجاري، بيروت، لبنان.

شواط، الحسين بن محمد (1411هـ). مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية. [طبعة الكترونية مقروءة]. تم الاسترجاع من موقع [saad.net].

عياض، بن موسى (1983/1981). ترتيب المدارك وتقريب المسالك (ج 6-8)، تحقيق: أعراب، سعيد، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.

مخلوف، محمد (2003). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد، خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.